لباب الاستعارات والكنايات

والملاحن والالغاز

— التي وردت في كلام العرب —

—((●))—

اما ماجاء في قول العرب من الاستعارات فكثير منه قولهم : هذا رأس الامر ووجهه ورأس المال . وهذا الامر في جنب غيره يسير . وهؤلاء رؤوس القوم وجماجمهم وعيونهم ووجوههم . وفلان ظهر فلان ولسان قومه ونابهم وعضدهم . وهذا كلام له ظهر وبطن . وخرج علينا عنق من الناس . وله عندي يد بيضاء . وهذه عين الماء . وحاجب الشمس . ولسان النار . وانف الجبل . وبطن الوادي . وكبد السماء . وساق الشجرة .

ويقولون في التفرقة : انشقت عصاهم وشالت نعامتهم ومروا بين سمع الارض وبصرها .

ويقولون في اشتداد الامر : كشفت الحرب عن ساقها . ابدى الشر ناجذيه . حمي الوطيس . دارت رحى الحرب .

ويقولون في ذكر الآثار العلوية : افترّ الصبح عن نواجذه . نعر الصبح في قفا الليل . وهي نطاق الجوزاء . انحط قنديل الثريا . ذرّ قرن الشمس . بَقَل وجه النهار . نوّرت حدائق الجو . شاب رأس الليل . ويقولون : قام خطيب الرعد . خفق قلب البرق . انحلّ عقد السحاب . انحلّ شريان الغمام . تنفس الربيع . آن ان يجيش مرجل الصيف ويثور قسطله . دبّت عقارب البرد . شابت مفارق الجبال .

ويقولون في محاسن الكلام : الأدب غذاء الروح . ويقولون : النارفاكهة الشتاء . النبيذ كيمياء الفرح . الوحدة قبر الحي . الدّين داء الكرام . التّمام جسر الشر . الشكر نسيم النعيم . الربيع شباب الزمان . الولد ريحانة الروح . الشمس قطيفة المساكين .

ويقولون للمطر سماء . قال الشاعر :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناها وان كانوا غضابا

ويقولون : لقيت من فلان عرق القربة (وأصل هذا ان حامل القربة يتعب من ثقلها حتى يتصبب عرقاً) . ولقيت منه عرق الجبين . والعرب تقول : بارض فلان شجر صائح : وذلك اذا طال فتبين للناظر بطوله ودل على نفسه لان الصائح يدل على نفسه بصوته . ومما جاء ايضاً في هذا الباب في القرآن وكلام الصحابة وغيرهم مانصه : أذاقها الله لباس الجوع والخوف . اشتعل الرأس شيباً . وصبّ عليهم ربك سوط عذاب . قال علي : اما وقد اتسع نطاق الاسلام . وقال الحجاج : دلوني على رجل سمين الامانة أعجف الخيانة (والأعجف النحيل) . وقال عبدالله بن وهب : لاخير في الرأي الفطير والكلام القضيب (القضيب بمعنى المقضوب اي المقطوع والظاهر ان المراد هو الكلام المقطوع عما قبله أو عما بعده مما يحتاج اليه السامع ليفهم تماماً المقصود منه) .

ولما بايعوا علياً قال : دعوا الأمر يغبّ . فان غبوبه يكشف لكم عن محله (ومعنى يغب يبيت) . وقال اكثم بن صيفي : الحلم دعامة العقل . وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقري العين جمالاً والاذن بياناً . وقيل لرؤبة كيف تركت ماوراءك . قال : التراب يابس والمال عابس . وقال المنصور لبعضهم : بلغني انك بخيل قال : ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل . وقال ابراهيم الموصلي : قلت للعباس بن الحسين : اني لأحبك . قال : رائد ذلك عندي . وقال اعرابي : خرجت في ليلة حندس قدالقت على الارض أدراعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف الا بالآذان . وقال أعرابي لآخر : يسار النفس خير من يسار المال ورب شبعان من النعم غرثان من الكرم (غرثان معناه جائع) . وقال آخر في حرب : جعلوا الحرب أرشية الموت واستقوا بها أرواح العدو (ارشية اي حبال مفرده رشاء) . وقال احمد بن يوسف وقد شتمه رجل بين يدي المأمون : رأيته يستملي ما يلقاني به من عينيك . ومدح رجل أعرابياً قال : كان يفتح من الرأي أبواباً منسدة ويغسل من العار وجوهاً مسودة وان للصنائع لغارةً على أمواله كغارة سيوفه على أعدائه (الصنائع أعمال المعروف ومفردها صنيعة) .

ومدح أعرابي آخر رجلاً فقال : انه ليعطي عطاء من يعلم ان الله مادته . وسأل أعرابي (أي سأل صدقةً) فقيل له عليك بالصيارف . فقال : هناك قرارة اللؤم . وذمّ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أعرابيٌّ قوماً فقال : يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء . وقال بعضهم : مازال فلان يتحمل مرارة الاخوان ويسيغهم العذب . وقيل لاعرابيّ : لمَ لاتشرب النبيذ . فقال : لا أشرب ما يشرب عقلي . وقال بعض الاطباء : الماء مطية الطعام .

* * *

واما الكنايات فالعرب يلجأون اليها في عدة اغراض منها ارادة التعريض عما يستقبح ذكره . فيكنون عن الاعور بالممتّع وعن الذي في عينيه نكتة بياض بالمكوكب . وعمن في وجهه اثر ضربة بالمشطب . ولبعضهم في ابرص :

اخو لخم اعارك منه ثوباً هنيئاً بالقميص المستجدّ

اراد باخي لخم الملك جذيمة الابرص اللخمي . وللصاحب بن عبّاد في الجرب :

ابا العلاء هلال الهزل والجد كيف النجوم التي يطلعن في الجلد

ويكنى عن الحوَل بالتأخر . وقال الدؤلي كانياً عن الفقر :

بيض المطابخ لاتشكو إملاقهم طبخ القدور ولا غسل المناديل

ومثله قول الآخر :

ثياب طبّاخهم اذا اتسخت انقى بياضاً من القراطيس

وقول ابي بكر الخوارزمي :

فتى مختصر المأكو ل والمشروب والعطر

نقي الكأس والقصـ ـعة والمنديل والقدر

ويكنون عن الجاهل بانه من المستريحين . ويروى ان خلافاً وقع بين بعض الخلفاء وبين نديم له في مسألة فاتفقا على رأي بعض أهل العلم فأحضر . فوجد الخليفة مخطئاً فقال : القائلون برأي امير المؤمنين اكثر (يريد الجهال) . واذا كان الرجل أحمق قيل : نعته لا ينصرف . (لأن لفظ أحمق ممنوع من الصرف بالوصفية ووزن الفعل) . وكان قابوس بن وشمكير اذا وصف رجلاً بالبله قال : (هو من أهل الجنة) . ويقولون : فلان خفيف على القلب (يريدون مقلوب صفة الخفيف وهو الثقيل) .

وكان الشاعر العربي الاطروش اذا خاطبه احدهم ولم يسمع قال له : ارفع صوتك فان باذني بعض مافي روحك (يريد ان باذنه بعض الثقل الذي في روح مخاطبه) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونظر الهمذاني الى رجل طويل بارد فقال : اقبل ليل الشتاء . ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر فقال : ماتجد فديتك . قال : اجدك (يعني البرد) . ويقولون في الكذاب : فلان يلطم عين ميزان (ميزان رجل اشتهر بالكذب) . واذا كان الرجل ملولاً قيل : « هو من بقية قوم موسى » . واذا كان ملحداً قيل : قد عبر (اي عبر جسر الايمان) . وان كان سيء الادب في المؤاكلة قيل : تسافر يداه على الخوان ويرعى ارض الجيران . فان كان خفيف اليد في الطر والسرقة قيل : هو احذ يد القميص (اي مقطوعها والسارق يقطع يد قميصه ليكون اقدر على مايريد سرقته) . فاذا كان قليل الثوب قيل : فلان يعرض الصيد . قال الصاحب :

وجوشه ترتع في جنبه وظفره يركب للصيد

واذا كان الرجل يتشاعر وليس يجيد قالوا : هو نبي في الشعر . اشارة الى قول القرآن في النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : « وما علمناه الشعر وماينبغي له » . ويقال فلان رابع الشعراء . اذا كان متخلفاً منحط الطبقة لقول الشاعر :

الشعراء في الزمان اربعه فواحد يجري ولا يجرى معه
وواحد يخوض وسط المعمعه وواحد لاتشتهي ان تسمعه
وواحد لاتستحي ان تصفعه

وسئل حائك عن صناعته فقال : كسوة الاحياء وجهاز الموتى . ويكنون عن القروي باخضر الاسنان من كثرة اكل البقول . ويقال في من يكثر الاسفار : فلان لا يضع العصا عن عاتقه .

وجاء في القرآن : « أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً » . فانه كنى عن الغيبة لأن المغتاب يقع في العرض يمزقه كما يمزق الآكل اللحم . ويقولون : لبس لفلان جلد النمر وجلد الارقم (الافعى) كناية عن العداوة .

ومن ظريف الكنايات ماجاء عن الجماز وقد قيل له : اي البقول احب اليك ؟ فقال بقلة الذئب . (يعني اللحم فان الذئب لا يأكل بقلاً) . ورأى رجل من اضافوه يطيلون الغناء ولا يأتون بطعام فقال :

خليليَّ داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فعلموا انه جائع . وروي عن الجاحظ انه أكل مع محمد بن عبدالملك الزيات فالوذجاً فأمر ابن الزيات ان يجعل بين يدي الجاحظ مارقٌ من الجام فأسرع في الأكل حتى نظف ما بين يديه . فقال له محمد : ياأبا عثمان مرعان ماتقشعت سماؤك . فقال : أصلحك الله لأن غيمها كان رقيقاً . ويقولون : ركب فلان الأغر الأشقر . أي قتل . ويريدون بالأغر الأشقر الدم . ويقولون : فلان عف الثوب أو عف الازار . أي مستقيم منزه عن العيب . وفلان غمر الرداء . أي كثير المعروف . وعرضت لفلان فترة اي وخطه الشيب . ومثله أقرّ ليله . ونوّر غصن شبابه . وفضّض الزمان ابنوسه .

ويقال للدعي في بني هاشم : هو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم من الدُّلدُل . والدلدل بغلة أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية الى الرسول وهي اول بغلة رؤيت في الاسلام .

ومن الكناية عن الموت قولهم : لحق باللطيف الخبير . لعق اصبعه . استوفى أكُلَه . استوفى أجله . صُكَّ به على ابي يحيى . وابو يحيى كنية ملك الموت . ويكنون عنه بهادم اللذات . ويقال : شالت نعامته . طارت به عنقاء مُغرب . ويقولون في الدعاء بالموت : لا عُدَّ فلان من نفره . أي فُقد من بينهم بالموت .

ومن حكاياتهم في التورية تخلصاً من الكذب ما روي ان رجلاً من الخوارج ألزم رجلاً من الشيعة ان يبرأ من علي وعثمان فقال : انا من علي ومن عثمان بريء . أراد انه من علي أي من شيعة علي وأنصاره وانه بريء من عثمان . ومثله ما روي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) انه قال : ان الله قتل عثمان وانا معه . وأراد : وسيقتلني معه . قاصداً بذلك تسكين الفتنة .

وروي انه أقبل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مردفاً ابا بكر رضي الله عنه فيلقى الرجل ابابكر وهو يعرفه فيقول له : ياأبابكر من هذا الذي بين يديك . فيقول : رسول يهديني[1] السبيل . فيحسب السائل انه يهديه الطريق . وانما أراد ابو بكر سبيل الخير .

ومرض زياد بن أبيه فدخل عليه شريح القاضي فلما خرج سئل : كيف تركت الامير؟ فقال : تركته يأمر وينهى . فقال السائل ان شريحاً صاحب عويص (عويص الكلام اي الصعب الغامض منه) فاسألوه ماأراد فقال : تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء .

(١) [المجمع] وكان ذلك اثناء هجرتهما خفية من مكة الى المدينة المنورة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأتت دلالة قوماً تخطب اليهم فتاةٌ لهم فقالوا لها : ماصناعة الخاطب فقالت : يكتب بقلم من حديد ويختم بالزجاج . فعلموا انه حجام . وسئل الشعبي عن رجل فقال : انه لنافذ الطعنة ركين العقدة . فاذا هو خياط .

ومن كناياتهم : ابومالك . عن الجوع (لانه يملك صاحبه) ورمح ابي سعيد اي العصا . وابو جعدة الذئب وكذلك ابو مزنة . وابو الحارث الاسد . وابو الحصين الثعلب . وابو أيوب الجمل . وأم عامر الضبع . وأم عوف الجرادة . وأم حبوكرى وأم طبق الداهية . وأم النجوم الثريا . وأم الخل الخمر . وأم الخمر العنب . وبنت العنقود وبنت الحان وبنت الدنان وبنت الدوالي الخمر . وأم مرزم ريح الشمال . وعاصم بن حبة الخبز . وكذلك جابر بن حبة وابو جابر . وتحفة ابراهيم اللحم . ويقال ان مسلم بن قتيبة قال للشعبي ماتشتهي ؟ فقال أعز مفقود وأهون موجود . قال ياغلام اسقه ماء . ويكنون بابي مصلح عن الملح وابي ثقيف عن الخل وابي اليقظان عن الديك .

ويقولون فلان من قوم موسى اذا كان ملولاً . وفلان بيضة البلد كناية عن عزه وعن ذله . وفلان ليس له على الله حجة . اي متكامل فضله . وعاري الخوان اي بخيل . وكذلك يخنق كلبه (لكيلا ينبح فيدل الضيف على المنزل) . ويكنون عن الدرهم بالأخرس النجيح . وعن القلم بالناطق الأبكم .

ويقولون فلان له قرابات في اليمن . اي قبيح الصورة مثل القرود . (والقرود كثيرة في اليمن) . ويكنون عن الأعمى بالمحجوب . وعن خلو البيت من الطعام بقلة الجرذان . ويقولون فلان من تربية القاضي . اي لقيط لا يعرف له أب . وقيل للاستاذ الطبري : شعر فلان كالماء . فقال نعم ولكن كماء البئر في الصيف (اي انه بارد) .

ويقال فلان قد لبس شعار الصالحين . أي اتتفر . وجاءنا في قميص آكل الدهر عليه وشرب . كناية عن القدم والبلى . ومثل ذلك جاءنا في جبة تقرأ : (واذا السماء انشقت) ويقال فلان جاءه النذير . اي شاب . وكذلك : لاح الافحوان في بنفسجه .

واما الملاحن والألغاز فقد كانت العرب تتعمدها اذا ارادت التعمية او التورية . والملاحن مأخوذة من اللحن وهو الفطنة . واصله ان تريد شيئاً فتوري عنه بشيء آخر . ومن هذا القبيل مارواه العنبري قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان اسير في بكر بن وائل فسألهم رسولاً الى قومه فقالوا له لا ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا قدازمعوا غزوقومه فخافوا ان ينذرهم . فجيء بعبد اسود فقال : ابلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً (يعني اسيراً كان في ايديهم من بكر) فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وقد شكت النساء ومرهم ان يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب بآية ما اكلت معكم حيساً واسألوا الحارث عن خبري فلما ادى العبد الرسالة قالوا لقد جُنَّ الاعور والله مانعرف له ناقة حمراء ولاجملاً اصهب . ثم سرّحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال : لقد انذركم . اما قوله : « ادبى العرفج » فيريد ان الرجال قد استلأموا اي ادّرعوا ولبسوا السلاح . وقوله : « شكت النساء » اي اتخذت الشكا وهي اسقية الماء للسفر . وقوله (عروا ناقتي الحمراء) اي ارتحلوا عن الدهناء) . « واركبوا الجمل الاصهب » اي اقصدوا الجبل . وقوله : « اكلت معكم حيساً » اي ان اخلاطاً من الناس يغزونكم لان الحيس يصنع من التمر والسمن والأقط . فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه وانتفعوا به . ومن امثلة التورية ماذكره ابن دريد قال : تقول «والله ماسألت فلاناً في حاجة قط » والحاجة ضرب من الشجر له شوك . « وما رأيته » اي وما ضربت رئته . « ولا كلمته » اي جرحته . « ولا اعلمته اي ماشققت شفته العليا . فمن كان مشقوقها فهو اعلم فاذا كان مشقوق الشفة السفلى فهو افلح . « ولا اخذت منه كلياً » وهو المسمار في قائم السيف « ولا فهداً » وهو المسمار في وسط الرحل . « ولا جارية » وهي السفينة . « ولا شعيرة » وهي رأس المسمار من الفضة . « ولا صقراً » وهو دبس الرطب اي التمر الناضج . « ولا كسرت له سناً » وهي القطعة من العشب تتفرق في الارض . « ولا ضرساً » وهي القطعة من المطر تقع متفرقة في الارض . « ولا خربت له رحى » وهو من الاضراس . « ولا لبست له جبة » اي جبة السنان وهو الموضع الذي يدخل فيه سن الرمح . « وماظلمت فلاناً » اي ماسقيته ظليماً وهو اللبن قبل ان يروب . « ولا اخبرته » اي مارعيت له خبيرة وهي شاة يشتريها القوم ويقتسمونها بينهم . « ولا جلست له على حصير » وهي اللحمة المعترضة في جنب الفرس . « ولا رأيت سعداً » وهو النجم . « ولا سعيداً » وهو النهر يسقي الارض منفرداً . « ولا جعفراً » وهو النهر الكبير (ولا سهلاً) وهو ضد الوعر « ولا سُهيلاً » وهو اسم نجم . « وما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وطئت لفلان ارضاً » وهو باطن حافر الفرس . « ولا اخذت له بيضة » وهي بيضة الحديد يضعها المقاتل على رأسه من أسلحة الدفاع « ولا عسلاً » وهو نوع من عَدْوِ الذئب اي جريه . « ولا خلاً » وهو الطريق في الرمل . (وما عرفت لكم طريقاً) وهو النخل الذي ينال باليد . (ولا أتلفتُ لفلان تمرة) وهي طرف السوط . (ولا كسرت ساقة) وهو الذكر من الحمام . (ولا أخذت لفلان فروة) وهي جلدة الرأس . (ولا عرفت له وجهاً) اي قصداً . (وما عرفت لفلانة بعلاً) وهو النخل لا يسقيه أصحابه بل يشرب ماء السماء . (وما لي جمل) وهو من سمك البحر .

ومن الأبيات التي يتحاجون بها ويسمونها أبيات المعاني قولهم :

وزهراء إن كفنتها فهو عيشها وان لم اكفنها فموت معجّلُ

يعني النار وهي زهراء أي بيضاء . يقول ان قدحتها فخرجت فلم أدركها بخرقة أو غير ذلك ماتت . وقولهم :

وما ذكر فان يكبر فأنثى شديد الأزم ليس له ضروسُ

هو القراد لانه اذا كان صغيراً فهو القرد فاذا كبر سمي حلمة . وقولهم :

عافت الماء في الشتاء فقلنا بردّيه تصادفيه سخينا

قوله (بردّيه) اي (بل رديه) ادغم اللام والراء ادغام المتقاربين فصار كلمة واحدة . وقولهم :

اقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبدشمس وهاشم

الاصل في قوله : (وهاشم) هكذا (وهي شم) . ومعنى وهي سقط . وشِمْ أنظر . وتحرير المعنى : اقول لعبد الله لما سقاؤنا وهي اي سقط ونحن بوادي عبد شمس شِمْ أي انظرْ .

وقولهم :

واشعثَ كفّارٍ غدا وهو مومنٌ وراح ولم يؤمن برب محمد

قوله مومن اي قاصد اليمن والفعل منه أيمن . فلم يبق في البيت إشكال أو غرابة بنسبة الايمان والكفر الى رجل واحد بين صباح ومساء اي عند غدوه وعند رواحه .

اللاذقية : ادوار صرقص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net